باب المراسلة والمناظرة

صورة فلمية

سعيد طليمات بك

ا ساءتنا هذه الرسالة في تقدير رجل من ا
ا رسالتنا العاملين تنشرناها مع التكر ا

المصوّر الاستاذ يؤلف من الوان عدة لوناً واحداً يجعله عمدته في اخراج لوحة باهرة . والطبيعة تجمع مواهب الانسان في فضيلة واحدة تجعلها عماده وسر نجاحه في الحياة . ولقد كان « ديموستينوس » خطيباً فحسب ولكنهُ كان مرهوب الجانب من جميع الابطال الذين لا يدينون الاّ بالقوة . وكذلك تجتمع مواهب الانسان وقواه الطبيعية في فضيلة واحدة يرتفع بها حتى يبلغ القمة

ولعلّ الكمال الحقيقي في التكوين لا يبدو في مظهر ابلغ ولا اجلّ من استخلاص فضيلة واحدة من مواهب مجتمعة . وغالباً ما تتمثل القدوة العليا في هذه الفضيلة ويظل العصر يرى فيها الصورة الكاملة للنبوغ ، كأن اجتماع المزايا والمواهب بهذه الطريقة قوة اخرى تضيفها الطبيعة الى سائر القوى المجتمعة لاظهار عبقرية الانسان وتخليد عمله . ورى ان المواهب قد تنصرف بكليتها الى وجه ما من وجوه العمل كالدفاع عن الحق مثلاً ، وامامنا مثل صادق لهذه الحالة يمكن اي تبيينهُ في شخصية سعيد بك طليمات

هو رجل منقف هادىء ، قوي الارادة ، واسع افق التخيل شديد الملاحظة ، متسع الذكاء اوتي من رجاحة العقل وقوة النفس ما لم يرزق كثير . تقابلهُ فتلقى رجلاً من الطراز الاول ، وتصيب فيهِ نديماً ظريف المحاضرة له مشاركة في كثير من العلوم والآداب ، على وجهه الباسم الهدوء والرقة والحزم معاً ، تنظر اليهِ فلا تستطيع ان تقاوم ما فيهِ من قوة ، قوة الرجل الذكي الصلب النافذ البصر ، وهو دائم الابتسام يحدّثك في صوت هادىء وعبارات مفصلة متزنة دون ان يستفيض ، فاذا اعتلى منبر الخطابة انفجر وتعاظم ، وسيطر بقوة بيانه وعلمه الغزير المتدفق على اذهان سامعيه

وقد عرفتهُ محامياً فعرفت فيه كفاءة المحامي وقدرته ، ونبوغه ، وطهارة حلقه ونزاهته ، وسهولة طبعه ، ولين جانبه ، مع عذوبة في القول ، ووضوح في البيان ، وعرفت فيه لساناً حلواً ، سلساً ، متدفقاً يعفّ عن الهجر ، ولا يعرف الحشو . وعرفته وكيلاً للقومسيون البلدي فعرفت فيه رجاحة الحلم وحصافة الرأي وقوة العارضة ، يتكلم بلسان عربي فصيح في غير تعقيد ولا تكلف ، بل يسترسل استرسالاً كأنهُ يتحدث اليك ، فتفتح له مغاليق القلوب والاذهان

رسعيد بك تغمره طبيعة الخير من جميع نواحيه . فما رأيته سئل المعروف من جاهه او ماله الاّ بذله لمن يعرف ومن لا يعرف ،ولمن يحب ومن يكره ، ما دام قادراً على بذله ،وهو من ثقة القانون ، ومن المصريين القلائل الذين احترمهم رجال القضاء والقانون الاجانب لذكائهم وسعة اطلاعهم وقوة حجتهم . والذين عرفوه لا يجدون اي فارق بين هدوئه وظرف حديثه وقوته وحماسته في مواقف الخطابة . فكلما ازدادت الصفات قوة ازدادت اتساقاً ولعل الظرف والهدوء اللذين امتاز بهما من مظاهر تلك النفس القوية في مواطن تحتاج فيها النفس الى الاستجمام وليس في ذلك ما يستغرب فان الشخصيات العظيمة لا تي تتطلب من الطبيعة الاستزادة في قواها دون ان تتخلى مع ذلك عن شيء من ظرفها وخلقها الاجتماعي

كلما حادثتهُ ازددت يقيناً بان شخصيتهُ القوية مرآة صادقة لما اوتي من مواهب ومزايا ، وانهُ الرجل الوطني النبيل الجائز ثقة الجميع واعجابهم. ولعتقد ان اجلّ مظاهر الاحتفال التي تقام لشخصية كبيرة لا توازي قيمة الدقائق التي تشعر فيها هذه الشخصية برضاء ضميرها وانها ادت المهمة التي اخذتها على عاتقها نحو الوطن والناس خير اداء . من اجل ذلك يعجب جميع الذين يقتربون من الاستاذ طلبات بتواضعه ولطفه وقوة نفسه . ومن اجل ذلك استطاع ان يحوز ثقة الوطنيين والاجانب على السواء

افتتح حياته العملية بالاشتغال بالمحاماة ثم كان مجاهداً سياسيًّا في صفوف المشتغلين بالدفاع عن القضية المصرية . وكان اول وكيل وطني لقومسيون بلدية الاسكندرية تولى الدفاع عن مصالح الوطنيين . وهو اليوم مستشار قضائي معترف بسعة علمه وقوة رأيه وكفايته. وقد تقدم الى المحاماة في البدء بموهبة فذة مستخلصة من قوى مجتمعة فيه وهي موهبة البلاغة والذكاء والمقدرة على الدفاع عن الحق ، واعانته شخصيته الممتازة وصفاته الموروثة والمكتسبة على تولي الزعامة في تقرير حقوق البلاد ومصالحها السياسية والاجتماعية ، ولم يزله جهاده في ميدان السياسة ثقة أعظم ولا اعجاباً اكمل مما حازه في سبيل الدفاع عن مصالح الاهلين في حجرة القومسيون البلدي . وكان سر نجاح هذا المحامي الجليل بل سر استحواذه في وقت قصير على ثقة الجماعة انهُ يعمل دون اعلان عن نفسه ودون ان يطلب جزاء على عمله من اي نوع . فلم يكن في اي وقت ميّالاً الى ان يستعمل نفوذه او الثقة التي احرزها لمصلحة احد او لحيازة مصلحة ما لنفسه وبقي قانعاً بمقدرته ونجاحه على انهما خير جزاء لارضاء ضميره

وقد ارتفع مقامه في نظر الجماهير عند ما تولى مهمته الدقيقة في القومسيون البلدي ووقف يدافع عن مصالح المدينة ويدل بسعة اطلاعه في المسائل الفنية ويطالب بتحقيق المقترحات التي تعيد الى مدينة عريقة في المدنية سالف مجدها وكان في هذه المهمة التي اخذها على عاتقه خطيباً ومشرعاً وانسانيًّا يحض على معونة معاهد العلم والبر بالبلاغة وقوة الاقناع التي دعا بها الى مساعدة المسرح . ولم يكن في هذه المسائل الجدية الدقيقة معاً يخلو من حب الفن والجمال يحض عليه ذوقه كرجل

سعيد بك طليمات

مقتطف فبراير ١٩٣٤ — أمام صفحة ٢٣٩

مثقف وعظيم الدراية بشئون الحياة الاجتماعية . وكان استاذاً في المسائل الاجتماعية الكبيرة التي تلائم مواهبه وطبيعة تفكيره وجهاده . وكان في هذه المسائل ايضاً محامياً ومشرعاً

ونذكر ان عند ما وضع قانون نقابة عمال الترام في سبتمبر سنة ١٩١٩ وتولى الدفاع عن حقوق اولئك العمال كان كمن أتم رسالة انسانية كبيرة وحقق غاية تضمن له وللآخرين خلود الذكر . بل تكفل تحقيق ذلك المستقبل الباهر الذي تأمل الإنسانية من جهاد النخبة المثقفة . وقد كان اول مستشار لنقابات العمال وهو الذي تولى وضع قانون نقابة عمال الترام المعمول به الى الآن واليه يرجع الفضل في تأليف لجنة التوفيق بين العمال واصحاب الاعمال التي عمل فيها مع جرانفل باشا

ونحن اذا شرحنا نشأة الاستاذ طلبات واتينا بتفاصيل حياته المفعمة بالمواقف الوطنية الجليلة لا نستطيع ان نميزها عن حياة سائر الاقطاب من حيث انها بسيطة وكاملة معاً . وقد انحدر من صلب اب فاضل كان من المقاولين ذوي اليسار وكان جده لابيه من التجار الذين اتسعت معاملاتهم بين مصر والسودان والشام ويتصل نسب اسرته الى الحسن بن علي بن ابي طالب . وكان طبيعيًّا ان تتهادى طفولته في افانين من التربية العالية حتى أضفى عليه الذكاء او الخلق الكريم حلة من نباهة الصيت في مطلع شبابه

وقد كانت المعارف الاولى التي اضاءت ذهن طلبات الفتى هي تلك المعارف نفسها التي تعنى جماعة الفرير ببثها على اعتبار انها عنصر حضارة ومدنية . وكان في حفظ هذه المعارف وهضمها متفوقاً اذ لم يلبث الا بضع سنوات حتى نال شهادة البكالوريا وانتظم في مدرسة الحقوق وتخرج منها سنة ١٩٠٥ وكان طبيعيًّا ان يمتحن هذا الحقوقي الشاب معلوماته ومقدرته في محارب للمحاماة فضاها بنجاح في مصر واسيوط الى سنة ١٩٠٧ حيث عاد الى الاسكندرية موطن اقامته الاصلي واتخذها ميداناً لمواهبه . وفي الحقيقة انه ما لبث ان اشتهر بهذه المواهب وكان اول اشتهاره في العمل مع جماعة الوطنيين المشتغلين بالسياسة وكان صاحب الزعامة وقتئذ هو المغفور له مصطفى كامل باشا . ولما شهد الجمهور آيات وطنيته وحماسته عين رئيساً للجنة الحزب الوطني بالاسكندرية وفي سنة ١٩٠٨ زار اوربا للقيام بدعاية واسعة للقضية المصرية والدفاع عن حقوق المصريين وما لبثت ان تقررت في القلوب تلك الثقة العظيمة التي يحرزها عادة المجاهد الذي يدافع عن القضايا العادلة . وفي سنة ١٩٢٢ صار عضواً في الوفد المنتدب عن الحزب الوطني في مؤتمر لوزان وكان الوفد مؤلفاً من رجال دفعتهم وقتئذ غيرتهم العظيمة على القضية المصرية الى السعي لتوحيد الجهود اتقاء لكل ما يمكن ان يمس هذه القضية . وهناك في روما تقابل هذا الوفد واتفق مع سائر الذين تولوا وقتئذ العمل لحل القضية المصرية على ميثاق وطني كان موضوع ايمان جميع الذين يحبون مصر وحريتها واستقلالها . واشترى طلبات بك بعد ذلك جريدة الامة من الصوفاني بك واخذ يكتب فيها مقالات سياسية بحماسة عظيمة حتى عطلت في عهد وزارة ثروت باشا

وفي سنة ١٩٢٢ اذ كانت شهرة ذلك المحامي الوطني قد اضحت موضوع اعجاب الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه انتخب عضواً في التومسيون البلدي وكان انتخابه لهذه العضوية ايضاً متفقاً مع مزاجه وطبيعة المهمة التي خلق من اجلها وهي الدفاع عن المصالح والحقوق

ولما زار المغفور لهُ سعد باشا في «رويا ليبان» اثناء الحقبة القصيرة التي كان يستريح فيها سعد باشا بعد عودته من بالطه اقترنت وقتئذ تحيته للزعيم الخالد بتقدير الزعيم لعمله المجرد الذي يحقق من أجل تحرير الجماعات وخلاصها . وفي اثناء ذلك لم ينقطع طلبات عن تأليف المقالات الضافية في سبيل شرح المسائل الوطنية . وكان يعنى من جهة اخرى بمسائل المدينة التي يتناولها التومسيون البلدي . ولما كانت حركة الموظفين الاجانب بالبلدية وقاموا يطالبون بحقهم فوق العلاوات التي يستحقونها مكافآت استثنائية كبيرة طرض في ذلك حتى حمل الاجانب على قبول فكرته ، وقررت الهيئة باجماع الآراء رفض مقترحات الحكومة وترتب على ذلك حل التومسيون . ولما كانت حركة مايو سنة ١٩٣٦ وصدر ذلك القرار الذي قضت فيه وزارة زيور باشا بتوسيع اختصاصات المأمورية البلدية على حساب التومسيون لم يتمالك العضو الخبير بقوانين البلدية واختصاصات دوائرها الاَّ المعارضة الشديدة وترتب على معارضته ان حلَّ التومسيون مرة ثانية

ولما تولى وكالة التومسيون وكان اول وكيل وطني تولى هذه المهمة الدقيقة منذ اربعين سنة ودل على احرازه لثقة الوطنيين والاجانب معاً تمكن من بحث مسائل كبيرة لمصلحة المدينة والاهلين وبخاصة مسألة ترام الرمل التي دلَّ فيها على خبرة واسعة اذ لبث يسعى لانتزاع الخط من الشركة في عهد وزارة عدلي باشا فكللت مساعيه بالنجاح . واصدر عدلي باشا قراراً بتأليف لجنة خاصة تتولى درس المسألة قوامها احمد عبد الوهاب باشا والمسيو اوزوالد غرد وطلبات بك بصفته وكيلا للتومسيون والاستاذ الفريد ليان وقد اتصلت هذه اللجنة بالمسيو سلفاجو رئيس مجلس ادارة الشركة بغية الوصول الى حل ملائم فلم يأت ذلك بفائدة . ثم جاءت وزارة ثروت باشا فعهدت اليه بوضع تقرير مستفيض يتضمن تفصيلات وافية عن تاريخ انشاء الخط في سنة ١٨٩١ والاطوار التي مرَّ بها فاضطر طلبات بك ان يقيم في القاهرة مدة اربعة أشهر يتصل في خلالها بقلم القضايا ويراجع شتى الملفَّات المتعلقة بالخط في مختلف الوزارات كالاشغال والداخلية وسكرتيرية مجلس الوزراء واستعان بطائفة من المهندسين الفنيين وقد وضع تقريراً مستفيضاً يقع في مائتي صفحة وكانت النتيجة التي يرجع الفضل فيها الى الاستاذ طلبات ان الحكومة تولت تدبير الخط وادارته وكان فوزاً للمصلحة الوطنية يعترف فيه لجهاد الاستاذ طلبات وخبرته وكفايته . كذلك يرجع اليه الفضل في بحث مشكلة سعر النور الكهربائي في الاسكندرية فقد تولى رياسة مختلف اللجان التي الفت لدراستها وله فيها مواقف جليلة انار فيها السبيل امام هيئة التومسيون

وصفوة القول ان طلبات بك كان قوة فعالة في التومسيون وكانت كلمته في المقام الاعلى في جميع

المسائل وكان يحكم عبارته احكاماً بديعاً عند ما تحتدُّ مناقشات القومسيون غير انهُ كان يستعين بمقدرته في الدفاع على مساواة اولئك الاعضاء وكان كمحام متفوق تكاد تكون الخطابة في سليقته وطبيعته . وهو بعد كرجل اجتماعي واسع الشهرة لا يترك سبيلاً لنصرة قضية دون ان يجعل لمزاياه ومناقبه الكبيرة اثراً ظاهراً في ذلك حتى تصيراته ومحاوراته باللغة الفرنسية فكانت هذه المزايا والصفات مطابقة للمهمة الجليلة التي اسندت اليه في القومسيون والفضل لهذه المزايا والصفات نفسها في ارتفاع ميزان التقدير الذي كان غير مألوف في البلدية ازاء العنصر الوطني

وقد كان طول المدة التي أدى فيها مهمتهُ في وكالة القومسيون المثل العالي لكل ما يتمناه اولئك الذين وقفوا حياتهم لخدمة الحضارة عن طريق الاصلاح والعمران

تقولا شكري

في بحور الشعر

كتب صديقي الدكتور بشر فارس في مقتطف الشهر الماضي كلمة حول نقدي لنسّاجة الرياشي ردَّ بها عليَّ مُدافعاً عن الأبيات التي أحسستُ نشازاً في موسيقاها ، وقال إني وإياهُ في حسبانها ساقطة الوزن وان التحقيق يثبت غير ما ذهبتُ اليهِ حيث قد استعمل الشاعر إباحات عروضية استشهد صديقي على شيوعها وتوارها بأبيات للشريف الرضي ومهيار وأبي تمام وأبي العلاء والبحتري وغيرهم ، وأنا لا أتعرض لرأيهِ إلاَّ من ناحيتين ، الاولى انهُ كان يجدر بهِ أن يقطّع أبيات الرياشي ، والثانية اني لاحظت ويلاحظ كل من يقرأ الابيات التي استشهد بها صديقي أن موسيقاها لم تفقد شيئاً من تسلسلها حتى يشعر بها الذوق مثلما يشعر عند تلاوة أبيات الرياشي التي أشرتُ اليها . وسواء أكان الحق في جانب صديقي أم كان في جانبي فان ما أراه أن الذوق هو الذي يحكم في كل شيء ولحكمه الكلمة المسموعة ، فكم من اشياء لا تختلف في ذاتها عن الحدود التي يجب أن تكون عليها والاصول التي يجب أن تنحصر في دائرتها ، حكم عليها الذوق بالمخالفة

والشعر اول ما يُطلب منهُ موسيقاه ليستهوي قارئهُ فيما يجوب من أودية ويهبط الى أغوار ويرتفع الى سماوات ، والموسيقى إن لم تراعِ حكم الذوق فلا يمكن لها ان تؤثر في السامع

اني أستسيغ من الشاعر استعماله بحوراً مختلفة في قصيدة واحدة على شريطة أن يراعي تقاربها في الروح الموسيقية فلا تكون متنافرة أما أن تكون القصيدة من بحر واحد ثم تحتلها الزحافات احتلالاً سيئاً يقف امامها الذوق وقفة المتمرد الساخط فهذا ما لا أستسيغه . ويرى بعض العروضيين ان من الخير ان يجتهد الشاعر في المحافظة على الوحدة الموسيقية فاذا استعمل شيئاً من الزحافات يجب ان يستعمله بعينهِ في كل الابيات او يلزم الاصل

واني لأنتهز هذه الفرصة فأشكر لصديقي رغبته في البحث عن الحقيقة من وراء المناقشات الهادئة والله يهدينا جميعاً الى ما فيهِ الصواب ما

حسن كامل الصيرفي